**سابعاً : أهم الخصائص الحضارية في دعوة الحق .**

إذا أردنا أن نبرز مظاهر الخصائص الحضارية في المسيرة الحركية لدعوة الإسلام ، فإنه لا يمكننا حصرها في زاوية معينة ، أو ناحية بعينها شأن الحضارات الإنسانية المزعومة ، بل سنجملها إجمالاً في العناصر التالية يفصلها ما سجلناه من خلال هذه الدراسة بأسرها ، وإجمالنا لهذه الخصائص وجمعها وفق ما وعيناه تبشر مَنْ فَقِه الدعوة إلى الله ﷻ .

وربما كان هذا الموضوع مسار بحث أكاديمي يتقدم به أحد الباحثين ليكشف النقاب عن هذه السمات الحضارية في دعوة الإسلام ، وسموها وتمييزها عن غيرها من مختلف المدنيات وسائر الحضارات البشرية الزائفة ، فأقول وبالله التوفيق :-

إن من أهم هذه الخصائص الحضارية في دعوة الحق ما يلي :

**أولاً : دعوة الحق ــ الإسلام ــ حضارية ، في مصدرها ووجهتها :**

أما ربانية الحضارة الإسلامية في الغاية والوجهة ، فيعنى بها : أن دعوة الإسلام تجعل غايتها ووجهتها حسن الصلة بالله ﷻ ، والحصول على مرضاته ، فهذه غاية الغايات في دعوة الإسلام ، وبالتالي غاية الكون بما فيه ومَنْ فيه من أجناس مختلفة ، وأرواح وخلائق متباينة ( بشرية ، حيوانية ، نباتية ، وغيبية ) مصداقاً لقوله ﷻ :

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى ﴾ النجم ٤٢ .

ومن ثم كان روح الإسلام وجوهره في سائر ما شرع من تكاليف ( عقدية وتشريعية وقيم أخلاقية ) في كافة المناحي المتعددة هو التوحيد الخالص لله ﷻ ، الخالق لهذا الكون بما فيه ومَنْ فيه :

﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ آل عمران ٨٣ .

﴿ولله يسجد من في السموات والأرض..﴾ الرعد ١٥ .

فكل ما في الكون ــ علويه وسفليه ــ لم تكن الغاية مــن خلقــه إلا أن يعرف الكون ــ خالقه ــ فيخضع ويسلم أمره للخالق جل وعلا :

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق ومــا أريد أن يطعمون .إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾الذاريات ٥٦-٥٨.

﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينــهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ الطلاق ١٢ .

كل ما في الكون خاضع لله ﷻ ، ومن ثمرات هذه الربانية : معرفة غاية الوجود الإنساني ، والاهتداء إلى الفطرة التي فطر الله ﷻ الكون عليها ، وسلامة الكون والحياة والأحياء من التمزق والصراع الداخلي ، والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات وشتى الاتجاهات ، ثم إنها تحرر الإنســان من العبودية لأنانيته وشهوات نفسه ولــذات حســه ، ومــن الخضــوع والاستسلام لمطالبه المادية ورغباته الذاتية .

وأما ربانية المصدر والغاية فيعنى بها : أن المنهج الذي رسمه الإســلام للوصول إلى غاياته وأهدافه منهج إلهي خالص ، فمعياره وميزانه وحــي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله ، فلم يأت هذا المنهج لإرادة فرد أو أسـوة أو طبقة أو حزب أو شعب ، وإنما جاءت نتيجة لإرادة الله ﷻ :

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ر بكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا .﴾ النساء١٧٤

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصــدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ يونس ٥٧ .

فالحق ﷻ هو صاحب المنهج ؛ ولهذا يضاف إليه وحده لا لأحد غــيره جل شأنه ، فيقال: منهج الله ، أو صراط الله ، ولا دخل للرسول ﷺ سوى

القيام بمهام وظيفته التي كلف بها من قبل الله ﷻ وهي البلاغ عن الله سبحانه وتعالى .

ومن ثمرات هذه الربانية أنها تعصم الإنسان المؤمن من التناقض والاختلاف الذي تعاني منه سائر الأنظمة والمناهج البشرية ، ومختلف الحضارات الإنسانية المحرفة ، وأنها تشتمل على العدل المطلق ، وبراءة دعوة الحق من التحيز والجور واتباع الهوى مما لا يسلم منه بشر كائنا من كان ، أو سائر المقننات والقوانين الأرضية ، وأنها تضفي على المنهج الإلهي قداسة واحتراما ، وثقة واطمئنانا ، وخضوعا وولاء له ، ثم إنها تحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى .

فدعوة الإسلام حضارية في كلمتها الإلهية ــ الممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية ــ وهي أس الحضارة الإسلامية الخالدة ، وأساس الحياة الراشدة ، ودستور الخير والنور للإنسانية جمعاء إذا ما اهتدت إليها ، وتدثرت بخطاها ، وتمسكت بهديها .

ومن ثم سمت الحضارة الإسلامية في أصولها ومصادرها ومعيارها ، ففي آفاق كلمة الوحي الإلهي ما يتلاءم والفطرة الإنسانية ، وما يكفل لها البقاء ــ إلى أن يشاء الله ﷻ خالق الكون ــ والاستمرار صاعدة وصامدة لتظل تعمل عملها في حياة الناس ووجودهم ، فهي المنهج الذي تجد فيه الحضارة الإنسانية رشدها وآمالها ومدنياتها ، وتزعم ــ زورا وبهتانا ــ إنشاء نظم حضارية ، أو ابتكار دستور حضاري يتضمن كل متطلباتهم واحتياجاتهم ، ظانين أو واهمين أن في دستورهم النبع الحضاري الصافي، والبناء الكامل للحضارة العصرية المستقبلية ، ونؤكد أن قوانين البشر ودساتيرهم واهية مهما توهم الواهمون ، وافترى

الكذابون ؛ لأن العقل البشري ناقص مهما بلغ من العلم رقيا ؛ لأنه لا يستطيع أن يعرف كنه نفسه فكيف يقنن دستورا صالحا ومتكاملا لواقع الكون والحياة والأحياء ؟

والإنسان ــ كما يعلم أهل العلم ــ جهاز مركب ، وكائن معقد ، ما خفي من أمره أكثر مما ظهر ، كل عصب ، بل كل خلية فيه تحتاج إلى تحليل ومعرفة ، كما أن فيه عوالم خفية لم يجترئ العلم حتى واقعنا المعاصر أن يبت فيها بكلمة .

ومن ثم لم تظفر ، ولن تظفر البشرية بدستور حضاري يكفل لها سعادتها دنيا وآخرة سوى ما جاء في كلمة الوحي الإلهي ، فكتب لدعوة الحق الخلود والصلاحية لكل زمان ومكان .

**ثانيا : دعوة الحق حضارية في شخص رسولها القائد الحضاري ﷺ :**

وكما سمت حضارة دعوة الحق بربانية مصدرها ، وإلهية وجهتها وغايتها ، فقد انفردت حضارة دعوة الإسلام على غيرها من سائر الدعوات البشرية المزعومة، بشخصية القائد الحضاري الذي حمل من المؤهلات القيادية ما أهلته لحمل أمانة دعوة الحق وتبليغها للناس ، وكيف لا وقد اصطفاه الله ﷻ واجتباه من بين خلقه ، وأهله وأعده الإعداد الكامل لتبليغ ونشر دعوة الحق في دنيا الناس ، وكيف لا وقد كان خلقه القرآن ، وأوتي جوامع الكلم ، إذ لا يمكن لأي حضارة أن تبلغ رقيها إلا وفق قيادة حكيمة ، وقد كان رسول الله ﷺ خير أسوة أخرجت للناس في القول والعمل ، وقد تم بالفعل تحقيق هذه الحضارة الإسلامية وقيامها على يد القيادة الكريمة المؤيدة بالوحي الإلهي ، وانحصرت في شخص الرسول ﷺ وواقع حياته كلها ، فقد كان قائدا " دينيا وسياسيا

وعسكريا وإداريا وتربويا وأخلاقيا ، وغيرها من سائر القيم وكافة المناحي الحياتية، ووجدت هذه المهام في شخصه الكريم ﷺ مجالا خصبا ، فازدهرت الحياة به وآتت أكلها فأثمرت قيادات بشرية صالت وجالت في ميدان الحياة ، فكان منهم الزهاد والعباد والقادة والفقهاء والسياسيون والمحاربون والإداريون والتربويون ، وهم في الفضل حلقة تحولت بقدر الله ﷻ ــ نتيجة تأثرها بقيادة الرسول الحضارية ــ إلى معجزات سجلها التاريخ البشري بأحرف من نور ، فكشف عن آثارها ومناقبها القيادية والحضارية عن تأهيلها لقيادة العالم كله ، فسدوا كل نقص ، وملأوا كل فراغ ، ونهضوا بأمتهم الإسلامية بعد أن كانت توصف بأنها بدوية ، فحولوا بداوتهم إلى نهضة وحضارة ، ومثلوا خير أمة أخرجت للناس فسادوا وقادوا وأصبحوا سادة العالم وهداته .

ومن ثم هيأ الرسول ﷺ ــ ومن سلك سبيله من المؤمنين ــ الحياة والأحياء لأهم النظم الحضارية الرفيعة ما عجزت عن تحقيقه مختلف الأنظمة البشرية كلها في عصور العلم والمدنية ، فقد جاء بدستور حضاري ــ نظري ممثلا في القرآن الكريم ، وتطبيقي ممثلا في السنة النبوية المطهرة ــ وعض عليها بالنواجذ فهدت البشرية إلى خيرها وصالحها ، وما زال وسيزال العالم بأسره يعجب العجب كله ، كيف استطاع القائد الحضاري سيدنا محمد ﷺ بهذا الدستور الإلهي أن يفجر من قلب الصحراء القاحلة حضارة عالمية تعايش الإنسانية في أجمل المدن وأرقاها ، بل وتنشأ له وجودا حضاريا متميزا لا يشبهه نظام هنا أو هناك ، ولا يعتريه خلل ولن يعتريه في يوم من الأيام ، ولا يحتاج إلى إكمال نقص ، أو سد ثغرة ، أو إضافة جديدة تستدعيها مصالح الناس في

الحياة ، بل هو دستور كامل متكامل ، على إثره تم بناء هيكل البناء الحضاري في دعوة الحق ، واتضحت معالمه وملامحه ، وكشفت ، وكشفت معاييره وموازينه ، وتجلت وجهته وغايته ، فكان بحق ( هيكل البناء الحضاري في دعوة الحق ) ملاذ المجتمعات الإنسانية في كافة الميادين والأنشطة الحياتية ، وكانت دعوة الإسلام حضارية في جانبها العقدي ، والتشريعي ، والأخلاقي ، والتربوي ، والسياسي ، والاقتصادي والاجتماعي ، والتاريخي ، واللغوي ، والعلمي ، وغيرها من سائر الميادين في دنيا الناس وواقعهم .

ولا يمكنني في هذه العجالة أن أبرز واقع الحضارة الإسلامية من خلال هذه الجوانب المتعددة ، والميادين المتنوعة ، فقد نوهت بأهمية هذه الدراسة في بحث مستقل ، وإنما أردت أن أكشف النقاب عن أهم ملامح هيكل البناء الحضاري الذي يشمل هذه الجوانب بأسرها ، وسائر الميادين كلها ؛ ولأوضح للقارئ الكريم ــ أيضا ــ أنه من حق كل مسلم أن يفخر ويعتز بحضارته ورقيها وسموها على سائر الحضارات البشرية المزعومة ؛ لأن واقع حضارته في دعوة الحق لها من الخصائص والسمات التي انفردت بها ، وتميزت بها عن غيرها ، فهي وحدها التي تملك المنهج الذي يشرح الحقائق الثابتة ، ويكشف النقاب عن الثوابت والمتغيرات في واقع الكون والحياة والأحياء ، وهي وحدها التي رسمت سبيل الصراط المستقيم ، ومنحت المعرفة اليقينية ــ لأهل البصائر ــ المستمدة من الكلمة الإلهية الخالدة ، وهي من أجل ذلك الدعوة الحقة التي اتسمت بالرقي والمدنية والحضارة ، وإن آثارها الحقة لتنعكس على الأمة الإسلامية ثباتا في المواقف ، وتضحية في الشدائد ، وقوة في الرأي ، وتبصرة بالأمور .

أما الحضارات البشرية المزعومة فقد حاولت بما قننت من نظم أن تبتعد عن واقع الكون والحياة والأحياء ، وحاولت بما وضعت أن تصنع شخصيات مثالية لكنها لم تفلح ولن تفلح ؛ لأنها استندت فيما وضعت على نتاج العقل البشري المتغير ؛ ولهذا ولدت أفرادا ضالة مضلة تهيم على وجهها بين شتى الآراء المتضاربة والأفكار المتناقضة ، وهي لا ترتبط بالواقع بل صيحات زائفة ، وشعارات براقة خادعة لا تجد طريقها إلى الحياة الواقعية ؛ لأنها لم ترتبط بالعقيدة الإسلامية الحقة التي تشعلها وتضرم وقودها وتبعثها قوية في الحياة ، وهي خيالات وأوهام بشرية يعوزها شعاع الروح الإلهي ، وجافة تفتقر إلى رشحات العاطفة الإيمانية ترطب جفافها الروحي في كيانها ، ومضطربة تفتقر إلى سند إلهي يدعمها ، وقلقة لا تثبت على ساق وليس لها قرار ، ومتناثرة كلما تكون مذهبا ، ومثالية أحيانا ترتفع على الواقع وتسبح في الخيال والأوهام ، وتستعصي على التطبيق .

**ثالثا : من أهم خصائص الحضارة الإسلامية أنها : واحدة لا تتعدد :**

وتلك خصيصة سمت بها حضارة دعوة الحق على غيرها من سائر الحضارات الإنسانية ، وتتجلى في ميثاق الله ﷻ ووحدة دعوة الحق في موكب الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله ﷻ من بني خلقه لتبليغ رسالته ونشر دعوته في أرجاء الكون بأسره .

وأجلت كلمة الوحي الإلهي هذه السمة الحضارية ، والباعث الحقيقي على التدين في نفس الكائن الحي في العديد من آياتها ، قال الله ﷻ :﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ آل عمران ٨١.

وقال جل شأنه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ الأعراف ١٧٢ .
وقال ﷻ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ الروم ٣٠.

وقال الرسول ﷺ : ( **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** ) (٥٩)
وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ ( **إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم** (٦٠) **عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا** ) (٦١)
ومن هذه النصوص تجلت حضارة دعوة الحق في الوحدة الموضوعية التي جاءت بها دعوة الحق على ألسنة الأنبياء والرسل رغم تعدد الرسالات ، وتوالي الدعوات من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ فهي واحدة ومفطورة على التوحيد الخالص لله ﷻ ، ومركوزة في فطرة الإنسان بالميثاق الأول الذي أخذه الله سبحانه على البشر ، وهي وحدة متصلة بعد أن سقط عنها حاجز الزمان والمكان والشكل والصورة ، وبدت هذه الوحدة الموضوعية في حضارة دعوة الحق فيما يلي :-

(٥٩)رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ والطبراني في الكبير وأبو يعلي في مسنده عن الأسود بن سريع ﷺ /صحيح الجامع الصغير ٥٧٨٤و٤٥٥٩، وانظر رقم ٥٥٧١ .
(٦٠) اجتال القوم : حولهم عن قصدهم ، واجتال الشيطان فلانا : استخفه فجال (أي دار) معه في الضلالة ـ المعجم الوسيط مادة جال ص١٥٤.
(٦١) رواه مسلم ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح٥١٠٩ ، وأحمد عن عياض بن حمار ﷺ ح١٦٨٣٧ .

(أ) وحدة موضوعها .
(ب) وحدة النطق (التسمية) بدعوة الحق (الإسلام)
(ج) وحدة مصدرها (كلمة الوحي الإلهي )
(د) وحدة العقيدة والمبدأ .
(هـ) وحدة الإنسانية رغم اختلاف الألسنة والألوان .
(و) وحدة المصير والغاية والهدف .
(ز) وحدة حالة المدعوين المنكرين .
(ح) وحدة انتصار المرسلين ودعاة الحق على أعدائهم . [٦٢]

ومن ثم قامت حضارة دعوة الحق على مجموعة من الدعائم انفردت بها عن غيرها من سائر الحضارات البشرية على اختلاف مسمياتها وبواعثها، وأهدافها ، وأهما : أنها إلهية المنبع والمصدر ، ربانية في الغاية والوجهة .

**رابعا : من أهم خصائص الحضارة الإسلامية أنها إنسانية :**

وهذه ـ أيضا ـ سمة من أهم ما امتازت به حضارة دعوة الحق عن غيرها من شتى الحضارات الوضعية ومختلف المدنيات المادية ، إن حضارة دعوة الحق إنسانية في كافة ما شرعت ، وعامة ما كلفت ، وشمولية فيما أمرت ونهت ، وراعت حال المخاطب بها وطبيعة وعقلية ونفسية وزمانه وبيئته في سائر ما احتوت من أوامر عقدية وتشريعية وتكليفية من عبادات أو معاملات وآداب وأخلاق وسائر ما تضمنت من أحكام ، ويتجلى هذا واضحا من خلال أن الوحدة الموضوعية في دعوة

(٦٢) لشرح هذه الوحدة انظر : معالم دعوة الحق في موكب الدعاة إلى الله ـ د٠مرسي شعبان السويدي ص٣٧١-٣٨٤ .

الحق على ألسنة الأنبياء والرسل قد راعت في كافة ما شرعت الجانب الإنساني ، وكيف لا فدعوة الحق للإنسان ومن أجل الإنسان وفي خدمة وصلاح وإسعاد مصالح الإنسان ، إنها راعت الإنسان قبل ولادته باختيار المنبت الصالح ، والزوجة الصالحة ، وجنينا في بطن أمه ، ومولودا وطفلا وشابا ومراهقا وشيخا وكهلا ، وقررت لكل مرحلة من هذه المراحل لنمو الكيان الإنساني حقوقا ينبغي مراعاتها وما يكفل للإنسان صحته ورعايته الرعاية البدنية، والعقلية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والحلقية، والدينية ، وغيرها . (٦٣)

ثم راعته حيا وميتا ، ثم كفلت له الحقوق التي تسمو بكرامته وعزته كحق الحياة والتعليم والحرية وغيرها ، وجعلت مكانته من بين سائر المخلوقات التي خلقها الله ﷻ سيدا وما عداه مسخرا لخدمته ، فهو الإنسان في ظل الحضارة الإسلامية مخلوق مكرم متميز بمواهبه ومداركه على سائر الأجناس ــ الجنس الحيواني ، النباتي ، الجمادي ــ ولم تلغ دعوة الحق وحضارتها دور الإنسان في الحياة ، وفاعليته في الكون مع وجود الله ﷻ فيه ، ومع انعدام التكافؤ بين قدرة الخالق وقدرة المخلوق ، ولم يلغ الوحي الإلهي دور العقل الإنسان وإيجابياته في فهمه والاستنباط منه والقياس عليه وملء ما سكتت عنه كلمة الوحي الإلهي ، فقد ترك الوحي الإلهي للعقل الإنساني مجالات عديدة ليثبت فيها ذاته وتبرز مواهبه وقدراته ، في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق وفي آفاق الكون يجول ويصول صاعدا إلى الأفلاك وهابطا إلى الأرض ، وترك له أن يبتكر

(٦٣) لمزيد من الاستفادة أنظر : الرعاية الصحية للإنسان بين اليهودية والنصرانية والإسلام ــ رسالة العالمية الدكتوراه د٠مرسي شعبان السويدي ــ مخطوط بمكتبة الكلية بالمنوفية .

ويخترع في وسائل الحياة ، وأن يستفيد من تجارب الآخرين ، وينتفع بثروات السابقين ، ومعارف اللاحقين ما شاء ما دام ملتزما حدود الحق والعدل ووفق كلمة الوحي ، فلم يشل الوحي الإلهي حركة الفكر الإنساني ولم يكبته أو يقتله ، بل كان له هاديا ومعينا ، بخلاف سائر الحضارات الإنسانية التي ادعت أنها في خدمة الإنسان وللإنسان ولصالحه ، والحق يقال : إنها جارت على الإنسان باسم الإنسان ، وأساءت إلى كرامته من حيث أرادت الإحسان إليه ، ودعت إلى هلاكه من حيث نادت بحياته ، وقتلت جوانب في الكيان الإنساني وأهملتها وجاهدت سعيها في طغيان جانب على آخر قد يكون المادي ، وقد يكون الروحي . (٦٤)

**خامسا : ومن خصائص الحضارة الإسلامية أنها تميزت بالواقعية :** وسمت بهذه السمة على سائر الحضارات البشرية المزامنة لعهدها والمعاصرة لها ، ذلك أنها قد راعت في مضمونها وموضوعها واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ، ووجود مشاهد ، ولكنه يدل على حقيقة أكبر منه ، ووجود أسبق وأبقى من وجوده الواجب لذاته ، ووجود الله ﷻ الذي خلق فسوى وقدر فهدى وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، وكذا مراعاة واقع الحياة من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر ، تنتهي بالموت وتمهد لحياة أخرى بعد الموت ، فيها توفى كل نفس ما كسبت ، وتخلد بما عملت وقدمت ، وكذا مراعاة واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة ، فهو نفخة من روح الله ﷻ في غلاف من الطين ، ففيه العنصر الروحي والعنصر المادي ، ومن حيث هو ذكر

(٦٤) لمزيد من الاستفادة أنظر : "خصيصة الإنسانية " من كتاب " الخصائص العامة للإسلام " ـ د٠يوسف القرضاوي ص٥١،٩٤ .

وأنثى لكل منهما تكوينه ونزعاته ووظيفته ، ومن حيث هو عضو في المجتمع لا يستطيع أن يعيش وحده ، ولا أن يفنى في المجتمع ، وهذه الواقعية التي انفردت بها حضارة دعوة الحق من صنع حكيم خبير ، فمشرعها الذي خلق الكون والحياة والأحياء ، فهو ﷻ أعلم بما يصلح الكون بما فيه ومن فيه ، وأعلم بما يفسره وما يرقى به إلى درجة الملاك وما يهبط به إلى حضيض البهائم ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ الملك ١٤ .

وتتجلى دعوة الحق وواقعيتها في كل ما دعت إليه من عقائد وتشريعات وآداب وعبادات ومعاملات . [٦٥]

**سادسا : ومن خصائص الحضارة الإسلامية " الوضوح " :**

الوضوح إحدى الخصائص التي ميزت حضارة دعوة الحق على غيرها من سائر الحضارات البشرية سواء فيما يتعلق بالأصول والقواعد ، أم بالمصادر والمنابع ، أم بالأهداف والغايات ، أم بالمناهج والوسائل والأساليب ، فوضوح الأصول والقواعد يتجلى في " الأصول الاعتقادية " كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره ، وهذه لا يجهلها مسلم ، بل هي واضحة ومعلومة من الدين بالضرورة ، وكذا ما يتعلق بوضوح الشعائر التعبدية المفروضة منها والنوافل ، وكذا وضوح الأصول الأخلاقية ، والمعالم السلوكية ، والآداب التعبدية التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع ، بل الأمة المسلمة ، وكل مسلم يعلم الحلال والحرام ، وما يجهله منها فعليه أن يسأل أهل

(٦٥) لمزيد من الاستفادة أنظر : الخصائص العامة للإسلام ــ د٠يوسف القرضاوي ص١٤٢-١٦٨ .

الذكر ، وكذا حضارة دعوة الحق واضحة في معاييرها ومصادرها ممثلة في كلمة الوحي الإلهي ــ القرآن الكريم والسنة النبوية ــ فهي تبيان لكل شيء ، وما فرط فيها من شيء ، وإذا ما خفي على المسلم أمر رجع للاحتكام إليها ، وإذا غم عليه شيء فليرجع لأهل التخصص ، وأهل الذكر ، كما أن حضارة دعوة الحق واضحة في أهدافها وغاياتها ، وأهمها : تكوين الفرد الصالح ، والأسرة الصالحة ، والمجتمع الصالح ، بل والأمة المسلمة ، وكل ما احتوته حضارة دعوة الحق من أصول وأركان ومقومات ومناهج وأساليب ووسائل وأهداف واضحة ومعلومة لكل مسلم ، وهي ضوابط وموازين لتحقيق إنسانية الإنسان ، وتحقيق وظيفته التي من أجلها خلق ، وعليها يموت ، وهي حمل الأمانة التي حملها الإنسان ..

**سابعا: ومن خصائص الحضارة الإسلامية : الجمع بين الثبات والتطور:**

اتسمت حضارة دعوة الحق بالجمع بين الثبات والمرونة ، والربط بين عنصر الثبات والخلود ، وعنصر المرونة والتطور معا ، إنه الثبات على الأهداف والغايات ، والمرونة والتطور في الوسائل والأساليب ، إنه الثبات على الأصول والكليات ، والتطور في الفروع والجزئيات ، إنه الثبات على القيم الدينية والأخلاقية ، والمرونة في الشئون الدنيوية والعملية ، وتتجلى هذه السمة في واقع الكون ، حيث توجد فيه عناصر ثابتة لا تتغير ( أرض ، جبال ، ليل ونهار ، شمس ، قمر ، غيرها ) وفيه عناصر متغيرة ( جزر تنشأ ، وبحيرات تجف ، وأنهار تحفر ، وأرض ميتة تحيا ، وصحار قفر تخضر ، وغير ذلك ) إنه عنصر الجمع بين الثبات والمرونة في آن واحد ، ولكنه ثبات في الكليات والجوهر ،

وتغير في الجزئيات والمظهر ، ولا عجب في حضـــارة دعـــوة الحـــق وانفرادها بهذه الخصيصة على مختلف الحضارات الإنسانية حتى تستطيع أمة الدعوة أن تعيش في واقع حياتها على الأصول الثابتة ، وأن تبتكـــر فيما يعن لها من أدوات التقدم وأساليب المدنية والرقي الحضاري .

**ثامنا : ومن خصائص الحضارة الإسلامية الوسطية :-**

وهذه سمة من أهم السمات التي انفردت بها الحضارة الإسلامية في دعوة الحق عن غيرها من سائر الحضارات البشـــرية ، وإذا كـــان المقصـــود بالوسطية : التعادل بين طرفين متقابلين أو متضـــادين بحيـــث لا ينفـــرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل ، وبحيث لا يأخذ أحـــد الطرفيـــن أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه ، ومثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة ( الروحية والمادية ، الفردية والجماعية ، المثالية والواقعية، والثبات والتطور وما شابهها ) ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طـــوف منها مجاله ويعطى حقه بلا وكس أو شطط ، أو غلو أو تقصير ، فإنـــــه يمكننا أن نجمل هذه الخصيصة التي انفردت بها حضارة دعوة الحق عن غيرها من مختلف الحضارات الوضعية وتتجلى في الاعتقاد : فحضـــارة دعوة الحق وسط بين الذين يسرفون في الاعتقاد ويصدقون بكـــل شـــيء ويؤمنون بغير برهان وبلا دليل ، وبين الماديين الذيـــن جحـــدوا الإلـــه وأنكروا كل ما وراء الحس ، ولا يستمعون لصوت الفطـــرة ، ولا نـــداء العقل ولا لصيحة المعجزة الإلهية ، كما أن حضارة دعوة الحق وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط خانقين نداء الفطـــرة فـــي أفئدتـــهم ، ومتحدين منطق العقل في رؤوسهم ، وبين الذين يعددون الآلهـــة حتـــى عبدوا الأبقار والأغنام ، وألهوا الأحجار والأوثان وسائر الطواغيت .

كما تبدو حضارة دعوة الحق وسطية في جانب التشريع ، حيث راعت في كافة تكاليفها المطالب المادية الروحية في طبيعة الكيان الإنساني . كما تظهر حضارة دعوة الحق وسطية في الجانب الأخلاقي ، حيث تظهر دعوة الحق وسطية بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك ، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان .

كما تبدو وسطية الحضارة الإسلامية في العبادات والشعائر ، فهناك حضارات بشرية ألغت الجانب الروحي والعبادات والشعائر من واجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده ، وبين الأديان والنحل الوضعية التي طلبت من أتباعها التفرغ للرهبنة كالرهبانية النصرانية وغيرها في الأديان الوثنية .

تاسعا : ومن خصائص الحضارة الإسلامية أنها حضارة عالمية :

ومن أبرز السمات الحضارية في دعوة الحق ، والتي تميزت بها عن غيرها من سائر الحضارات البشرية ، أن حضارة دعوة الحق عالمية خالدة وصالحة لكل زمان ومكان ، فحضارة الإسلام هي رسالة الزمن كله ، فهي عامة لكل الأزمنة ــ العصور والدهور والقرون ــ وليست موقوتة بعصر أو زمن مخصوص وينتهي أثرها بانتهائه ، كما هو شأن مختلف الحضارات الإنسانية على اختلاف مسمياتها ، وإنما هي حضارة خالدة وباقية إلى أن تقوم الساعة ، فليس بعد حضارة الإسلام حضارة ، وليس بعد الرسول الخاتم ﷺ رسول ، وليس بعد كلمة الوحي الإلهي كتاب إلهي آخر ، ومن ثم كتب لحضارة دعوة الحق الهيمنة والسيادة والقيادة برسولها وبكلمة الوحي الإلهي ــ القرآن الكريم والسنة النبوية ــ

فبها نسخت سائر الكتب وسائر الدعوات والشرائع ، وحضارة الإسلام هي في جوهرها وأصولها رسالة الماضي البعيد والمستقبل المديد .[٦٦]

كما أن حضارة الإسلام ليست محصورة في بيئة معينة ، أو مكان مخصوص ، وليست محلية أو إقليمية أو عنصرية ، وإنما حضارة الإسلام لكل البيئات ، ولسائر الأماكن ولمختلف الأقطار والجنسيات ، ولعامة الأمصار ، إنها حضارة العالم أجمع ، ودعوة للإنس والجن ، بل دعوة لكل الأجناس التي خلقها الله ﷻ في هذا الكون بما فيه ومن فيه ، إنها هداية رب الناس لكل الناس :

﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ الأنبياء ١٠٧ .

بخلاف الحضارات الإنسانية ، فهي محصورة بزمن مخصوص ومحلية في بيئة بعينها .

وتتجلى هذه الخصيصة في كلمة الوحي الإلهي وما قررته من نظم لكافة جوانب الحياة ولسائر ميادينها وأنظمتها المختلفة :-

(١) فهي تشمل الجانب التعبدي الذي ينظم علاقة الإنسان بربه كما يوضحه فقه العبادات في التراث الإسلامي مما لا تعرفه الحضارات الوضعية .

(٢) وتشمل أيضا الجانب الأسري من زواج وتوابعه ، والطلاق وآثاره ، والحضانة والنفقات والوصايا والميراث وغيرها مما يتصل بهيكل البناء الأسري في دعوة الحق ، ثم المحافظة عليه من أسباب الشتات والانهيار ، وإعطاء كل ذي حق حقه دون إفراط أو تفريط ، ودون طغيان فرد على

(٦٦) أنظر : دعوة الإسلام ضرورة عصرية ومستقبلية ــ مقال د٠مرسي السويدي ــ تحت الطبع .

آخر ، وهو ما يتضمنه قانون الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي الذي سما بتقنياته على سائر القوانين الوضعية .

(٣) وتشمل جانب المعاملات المالية والمبادلات من البيع وأنواعه ، والإجارة والشركة والمضاربة والمزارعة والرهن والكفالة والحوالة والوديعة والمداينة وغيرها من أنواع العقود والتصرفات التي يقصد بها تنظيم العلاقات المالية بين الأفراد ، وحفظ حق كل ذي حق ، وبيان ما يجب رعايته من الحدود والشروط ، وما يحرم عمله من الصور والتصرفات ، وهذا وغيره كثير رعته دعوة الحق في قانونها المدني .

(٤) وتشمل الجانب الاقتصادي والمالي فيما يتعلق بإنتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها ، وكذا ما يتعلق بتنظيم بيت المال " الخزانة الإسلامية " وبيان موارده ومصارفه ، وبيان حق الفئات الضعيفة في موارد الدولة وأموال الأغنياء ، وبيان ما حرم الله في مجال الاقتصاد من الربا والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل ، هذا وغيره رعته حضارة دعوة الحق في كلمتها الإلهية . (٦٧)

(٥) حضارة دعوة الحق تشمل الجانب الجزائي من العقوبات الدنيوية الشرعية التي قدرها الشارع أيضا كالقصاص والحدود ، كقطع يد السارق، وجلد ورجم الزاني ، وجلد شارب الخمر ، وعقوبة قاطع الطريق وغيرها ، أو العقوبات المفوضة لتقدير أولي الأمر من القضاة والحكام ، وهي التي تسمى في الفقه " التعزير ، أو قانون العقوبات أو القانون الجنائي أو الجزائي .

(٦٧) ولمزيد من الاستفادة أنظر : هيكل البناء الاقتصادي في دعوة الحق وحاجة الإنسانية إليه ـ د٠مرسي السويدي ـ تحت الطبع .

(٦) حضارة دعوة الحق تشمل جانب الإثبات والمرافعات مما يتعلق بالقضاء والدعوى والشهادة والإقرار واليمين ونحوها مما يقصد به تنظيم الإجراءات لرفع النزاع وتحقيق العدل بين الناس ، وهذا ما يسمى بقانون المرافعات .

(٧) حضارة دعوة الحق تشمل الجانب الدستوري مما يتعلق بنظام الحكم وأصوله من مثل : وجوب نصب الإمام وشروطه وكيفية اختياره وعزله وحقوقه وواجباته وعلاقته بالأمة وأهل الحل والعقد ، وحكم طاعته وحدودها ، وكيف يعامل من بغى عليه ، إلى غير ذلك مما يقصد به تحديد علاقة الحاكم بالمحكومين ، وتقرير ما للأفراد والجماعات من حقوق ، وهذا يدخل في القانون الدستوري ، أو النظام السياسي أو السياسة الشرعية في الإسلام . [٦٨]

(٨) حضارة دعوة الحق تشمل جانب العلاقات الدولية ، وهو الذي ينظم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السلم والحرب ، كما ينظم علاقتها بغير المسلمين ممن يقيم في ظل الدولة الإسلامية ، وهذا ما يتضمنه كتاب الجهاد والسير في الفقه الإسلامي ، وما يسمى حديثا بالعلاقات الدولية .

إلى غير ذلك من سائر الجوانب الأخرى التي تتضمنها حضارة دعوة الحق ، كالجانب التربوي ، والأخلاقي ، والنفسي ، والصحي ، وغيرها .

---

(٦٨) أنظر : السياسة الشرعية ــ د٠يوسف القرضاوي ، ومدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ــ د٠يوسف القرضاوي ص١٤٢-١٤٣ .

فحضارة دعوة الحق كما يقول الأستاذ فتحي رضوان " النظر إلى سكان هذا الكوكب بوصفهم وحدة متماسكة وكلا لا ينقسم ، والفرق بين النظرية الوضعية والحضارة العالمية في دعوة الحق أن الإنسانية نظرة خلقية تعلي من قدره ، وتمنع كل ما يؤدي إلى امتهانه أو إذلاله أو إضاعته أو الانتقاص من حريته أو انتهاك حرمته أو عقيدته أيا كان مسمى العقيدة ، وقد يكون النظام أو القانون الإنساني بهذا المعنى إنسانيا لا عالميا ، إذ قد يصدر التصرف أو القرار من رئيس قرية أو شيخ قبيلة ، لا يفكر في مقتضيات الإنسانية كافة أو لا يعرف شيئا عن غير القرية التي يعيش فيها يتولى أمرها ، وقد يكون النظام عالميا ولا يكون إنسانيا مطلقا ، فالطغاة وقادة الجيوش الذين اتسعت أطماعهم ، وفكروا أن يخضعوا العالم لحكمهم ، أو أن ينشئوا من أقطاره وممالكه إمبراطورية فسيحة تأتمر بأمرهم ، فبحكم الإكراه والبغي واستبدادهم عالميون ولكنهم غير إنسانيين وذلك بخلاف حضارة دعوة الإسلام فهي إنسانية وعالمية ، ومن دلائل الحضارة الإنسانية العالمية في دعوة الحق " الإخاء الإنساني " ، فقد ألغى الإسلام كل عوامل التمييز والتفرقة بين الناس ، عنصرية كانت أو إقليمية أو لونية أو طبقية ، وخطابه للناس كافة لا إلى طائفة خاصة منهم ، فهم جميعا عباد لرب واحد ، وأبناء رجل وامرأة ؛ ولذلك كان طابع الإسلام الإنساني أساسا لطابعه العالمي ، فهو عالمي لأنه إنساني لا يفرق بين إنسان وإنسان في داخل الوطن الواحد أو المجتمع الواحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وكذلك لا يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان داخل

المجموعة الإنسانية كلها ، أيا كان موقعه أو وطنه في الكرة الأرضيـــة ، وأيا كانت علاقة الناس بالإنسان رضوا عنـــه أو كرهـــوه ، ســـالموه أو حاربوه ، احتفظ بحريته أو استرقوه ، فإنه يبقى إنسانا له حقوق لا تسـقط تتصل بحريته وكرامته "[٦٩]

هذه بعض السمات والخصائص التي امتازت بها حضارة دعـــوة الحـــق على سائر الحضارات الإنسانية الزائفة ، الأمر الذي يؤكـــد صلاحيتـــها لكل زمان ومكان ، وأنه لا غنى للبشرية عن أن تســـلك ســـبيلها ، فـــلا استقامة لها إلا في ظلها ، ولا صلاح لها ولا سعادة إلا بالعض بـــالنواجذ على كلمتها الإلهية ، والامتثال لسبيلها ، إنـــه ســـبيل الله ﷻ ولا ســـبيل غيره، فهو يكفل الفلاح في الدنيا والآخرة .

(٦٩) فلسفة التشريع الإسلامي ــ فتحي رضوان ص١٥٤-١٥٥ ــ سلسلة مع الإســـلام ــ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة .